

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (108)

الإدراك (69)

عن العلم والثقافة والمعرفة (2)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD050912.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/09/05

السنة الخامسة - العدد: 1832



ميراثك البدء من النفس والعمارة

### مقدمة:

نشرنا أمس الجزء الأول من هذه التفرقة إلى العلم المعرفي، وفيما يلي الجزء الثاني الذي تعمدنا أن يكون موجزا لننصح أن يقرأ بعد إعادة قراءة نشرة أمس، كما نأمل أن تنتهي من هذه التفرقة الأسبوع القادم لربطها بالإدراك ونحن نستكملها معا.

أنهينا نشرة أمس بعرض تعدد "مناهل المعرفة" ومن ثم بالتساؤل عن ما إذا كانت ثمة منظومة يمكن أن تربط بينها، ولعل هذه المنظومة هي العلم المعرفي بأبعاده الأشمل.

### المدخل إلى العلم المعرفي:

تبين لي مؤخرا أن ما يسمى العلم المعرفي، كما تكشف لي من المدخل الإكلينيكي، قد يكون هو تلك المنظومة، وبما أن صفة "العلمية" التي لصقناها بنشاط لجنتنا الثقافية لم تحدّد علما بذاته، فقد تصورت أن التعرف على هذا العلم الجديد نسبيا هو مناسب تماما لمزيد من تمييز ما هو ثقافة علمية.

قبل أن أتطرق إلى بدايات تعرفي على هذا المصدر من واقع الممارسة، أود أن أشير إلى ضرورة استبعاد الخلط بين هذا العلم المعرفي وبين ما يسمى علم "ما بجوار علم النفس أو الباراسيكولوجي، وكذا استبعاد التحليل النفسي التقليدي (الفرويدى). ليس هذا للإقلال من إسهام أى منهما، ولكن لأن هذه هي الحقيقة العارية كما سنرى لاحقا.

أن مسيرة إثراء الثقافة  
تتخذ طريقها ذهابا  
وجيئة من الممارسة إلى  
التظير ثم العكس

الخبرة الأعمق التحد  
عرفتك على جوهر  
العلم المعرفى كانت  
من خلال ممارسة نوع  
مكتف من علاج الحالات  
المستحصية

الحرمان من النوم يقوم  
بكسر دوائر الإيقاع  
الحيوان المغلقة،

## بدايات من الممارسة

أشرت حالاً كيف أن مسيرة إثراء الثقافة تتخذ طريقها ذهاباً وجيئة من الممارسة إلى التنظير ثم العكس، وهذا مبرر يسمح لي أن أعرض خبرتي بصفتي ممارساً مستهلكاً من أصحاب المصلحة قبل أن أكون منظراً من أصحاب الفتوى، وذلك على الوجه التالي:

## أولاً: العلاج المعرفي

بدأت التعرف على ما عرفت لاحقاً أنه علم مستقل، من خلال الممارسة الإكلينيكية وبالذات ممارسة ما يعرف بـ "العلاج المعرفي" Cognitive therapy. وهو علاج يفترض أن المعرفة غير منفصلة عن كلية السلوك، وأن تأثير التغيير من خلالها يمكن أن يمتد إلى مجالات أخرى من السلوك، بما في ذلك الوجدان، فالوجود. إن أشهر صور هذا العلاج هو علاج الاكتئاب الذي وصفه بيك Beck لتصحيح صورة الذات، و صورة العالم لدى المريض المكتئب. يحدث هذا العلاج هذا التغيير لصورة الذات والعالم من خلال تنشيط التفكير في الاتجاه الصحيح، وثمّ علاج آخر يستعمل القراءة، والكتابة، ويسمى "العلاج بالقراءة" (Biblio-therapy). (عرفته أكثر حين أشرفت مؤخراً على رسالة الدكتور عبد الله حسين قسم المكتبات جامعة القاهرة) وأى من العلاجات لا يعتمد أساساً - كما يبدو لأول وهلة - على الإيحاء، وإنما هو أقرب إلى العلاج السلوكي حتى أنه في كثير من الأحيان يسمى باسم مشترك هو "العلاج المعرفي السلوكي".

## ثانياً: تغيير الفكر من خلال التعامل مع الجسد (والبيولوجي)

لم يكن المدخل من العلاج المعرفي (رغم تشابه الاسم) هو أهم ما هداني إلى أساسيات العلم المعرفي. الخبرة الأعمق التي عرفتني على جوهر العلم المعرفي كانت من خلال ممارسة نوع مكثف من علاج الحالات المستعصية.

كنا، وما زلنا نستخدم تحريك وتعتة الجسد في هذه الحالات، كعضو تنغرس فيه الأفكار، وقد تصدر منه، وتتعدل من خلاله. (تناولت هذا الموضوع بشكل مستقل في كتيب "مراجعات في لغات المعرفة" - سلسلة إقرأ - أنظر الملحق) كان ذلك - وما زال - يجرى بشكل متباعد لعلاج بعض حالات الوسواس القهري، وحالات البارانويا (الضلالية المزمنة) وبعض حالات اضطراب الشخصية الخطرة. من خلال هذا العلاج أمكن تعتة الضلالات عبر التحريك الجسدي غير المنتظم، والمتناوب، في نفس الوقت.

## ثالثاً: علاج الحرمان من النوم

علاج آخر نبهني إلى علاقة التفكير بالتنظيم البيولوجي بشكل عام، (أى بشكل لا يقصر استعمال لفظ البيولوجي على الكيمياء أو المشتبكات العصبية) هو علاج "الحرمان من النوم". الشائع عن هذا العلاج أنه علاج للاكتئاب، لكننا حين تعرفنا عليه من منطلق الإيقاع الحيوي تبين أن فاعليته مرتبطة بإعادة تنظيم الإيقاع الحيوي بصفة عامة، وليس فقط الإيقاع الحيوي لنشاط المخ، الفرض الذي حضرنا من خلال ذلك هو أن الحرمان من النوم يقوم بكسر دوائر الإيقاع الحيوي المغلقة، وبالتالي

وبالتالي هو يقوم بكسر  
"النص المعرفي المعاد"

إن فاعلية هذا العلاج  
النهائية تتوقف على ما  
ينزع بعده ومعناه من  
أفكار طازجة، تسمح  
للدماغ بعد الجسد، من  
استعادة مرونتهما. ومن  
ثم تفكك الضلالات

من خلال العدو المتصل  
مع اشتراط العرق وإسهام  
الرقص الجماع الحر  
أثناء العدو بين الحين  
والحين، أمكننا خلقة  
الجسد أيضاً

النفس البشرية تتركب  
من تشكيلات تسمى  
حالات الذات Ego

states ، هذه الحالات  
تمثل كيانات تنظيمية  
متكاملة

هو يقوم بكسر "النص المعرفى المعاد". من هنا رحنا نستعمله فى الحالات المستعصية التى تثبتت فيها الضلالات والهلاوس كأنها الخرسانة المسلحة التى تجمد الفكر والوجدان والوجود جميعا. إن فاعلية هذا العلاج النهائية تتوقف على ما ينزرع بعده ومعه من أفكار طازجة، تسمح للدماغ بعد الجسد، من استعادة مرونتهما. ومن ثم تتفكك الضلالات.

#### رابعا: علاج النشاط الجسدى المثابر والمخلل.

ثم إنه من خلال العدو المتصل (حتى المراثون أحيانا) مع اشتراط العرق وإسهام الرقص الجماعى الحر أثناء العدو بين الحين والحين، أمكننا خلخلة الجسد أيضا، ومن ثم تعتقت الأفكار المتجمدة والدوائر المغلقة.

#### خامسا: التحليل التركيبى وتعدد الذوات، وحالات العقل

ممارسة أخرى سبقت تعرفى على العلم المعرفى تمت من خلال انتمائى جزئيا للتحليل التركيبى Structural Analysis (ومن ثمَّ التحليل التفاعلاتى Transactional analysis أنظر بعد) أكثر من انتمائى إلى التحليل النفسى الفرويدى. دون دخول فى تفاصيل أذكر أن ما يسمى التحليل التركيبى له جذوره فى التركيب الهيراركى العصبى البيولوجى التطورى للدماغ. تفترض هذه النظرية أن النفس البشرية تتركب من تشكيلات تسمى حالات الذات Ego states، هذه الحالات تمثل كيانات تنظيمية متكاملة وليس كما يذهب التحليل النفسى إلى تشريح الذات إلى أجزاء وقوى بعضها مشوش حتى الخلط والتداخل (الأنا - الهو - الأنا الأعلى...إلخ). علاقة كل ذلك بالعلم المعرفى أنه أمكن مؤخرا تصوّر منظومات متكاملة من حالات العقل Mental States باعتبارها تمثلات معرفية متكاملة تتجاوز الرمز والتربيطية (أنظر بعد). إن حالات الذات التى فتح لها الباب ما يسمى بالعلم المعرفى حتى أصبحت تسمى حالات العقل، قد تجاوزت حالات الذوات الطفلية والوالدية والناضجة التى قال بها التحليل التركيبى لتصبح بلا حصر، مع احتفاظها بقدرتها التركيبية على المثل التمثيلى بكليتها لتعلن ما يقابلها فى التركيب الدماغى الشبكى المنظوماتى للمخ.

#### سادسا: التحليل التفاعلاتى

أما بالنسبة لما يسمى التحليل التفاعلاتى فهو الخطوة التالية للتحليل التركيبى، وهو يعلن أن الحوار بين الناس يجرى على أكثر من مستوى من خلال أكثر من قناة توصيل فى نفس الوقت. إن أبسط الصور لشرح ذلك هو ما يجرى فى المقابلة الإكلينيكية مما يمكن تعريته فى العلاج الجمعى بشكل خاص.

#### الخلاصة:

يمكن أن أوجز خلاصة ما وصلنى من ممارستى العملية هذه فى علاقتها بالعلم المعرفى الذى يثبت أكثر فأكثر أنه قديم بقدر ما هو حديث حين أكتسب هذا الاسم مؤخرا:  
**أولا:** إن التفكير يجرى على أكثر من مستوى شعورى (العلم المعرفى يسمّى المستويات الأعمق هذه بالاشعور - وهو غير اللاشعور الفرويدى - حيث يزعم أن أغلب التفكير هو لاشعورى أساسا)

التحليل التفاعلاتى فهو  
الخطوة التالية للتحليل  
التركيبى، وهو يعلن أن  
الحوار بين الناس يجرى  
على أكثر من مستوى  
من خلال أكثر من قناة  
توصيل فك نفس الوقت

التفكير يجرى على  
أكثر من مستوى  
شعورى

إن المخ ليس هو القائد  
عقول الوقت، فالجسد  
عضو تفكير كذلك،  
فك كل من الإدراك  
والفعل وغيرها

**ثانيا:** إن المخ ليس هو القائد طول الوقت، فالجسد عضو تفكير كذلك، فى كل من الإدراك والفعل وغيرها، وهذا ما سبق توضيحه من خلال الممارسة الإكلينيكية

**ثالثا:** المعرفة بالممارسة أشمل من العلم الذى يظل يمثل أساسا جوهريا كأحد مناهل المعرفة، ومرجعا هاما لضبط الممارسة.

من هذا المنطلق سوف أخصص بقية المحاضرة للتعرف (على بعض معالم الجانب النظرى للعلم المعرفى التى يمكن أن يتم من خلالها التربيط بين الممارسة والتظير من جهة، وبين الثقافة (العلمية) وهذا العلم من جهة أخرى

المعرفة بالممارسة أشمل  
من العلم الذى يظل  
يمثل أساسا جوهريا  
كأحد مناهل المعرفة،  
ومرجعا هاما لضبط  
الممارسة

\*\*\* \*\*

## وحدة الدراسة والبحث فى الإنسان والتطور

"وحدة بحث في قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقا من فكر يحيى الرخاوي"

نشرة الإنسان والتطور ( الإصدار الفطحي حسب المحاور )

شباط 2012

## عندما يتحرك الإنسان

مع ملحق حدود بريد الجمعة

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf)

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe)

دروفيسور يحيى الرخاوي

[rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

[mokattampsyh2002@hotmail.com](mailto:mokattampsyh2002@hotmail.com)

\*\*\* \*\*

للتسجيل فى وحدة الدراسة و البحث فى الإنسان و التطور

ارسال غلب الحد بريد الشبكة

[arabpsynet@gmail.com](mailto:arabpsynet@gmail.com)